سورة لقمان
سُورَةُ لُقْمَانَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم
بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

سورة لقمان

﴿الٓمٓ﴾ الحروف المقطعة للإشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز، الذي أفحم البلغاء والفصحاء، منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية فليأتوا بمثل سورة من سوره ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الباطل الذي يُلهي عن طاعة الله، كالغناء الماجن، ومزامير الشيطان ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ يتخذ آيات القرآن سخرية واستهزاء ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ شديد مع الإهانة له والإذلال ﴿وَقْرًا﴾ كأن في أذنيه صمماً يمنعه من سماع كلام الرحمن.. نزلت في «النضر بن الحارث» كان يشتري المغنّيات ويقول لمن يرغب في الإسلام: تعالَ معي، فيذهب به إلى المغنّية ويقول لها: أطعميه، واسقيه الخمر، وغنّيه!! ويقول له: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة، والصيام، والقتال بين يديه ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليمنع الناس من الدخول في الإسلام ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ من غير أعمدة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ تشاهدونها واقفة بدون عمد بقدرة الله ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾ تضطرب بكم ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ من كل صنف كثير المنافع ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ هذه مخلوقاته وهذا إبداعه ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أروني ماذا خلقته آلهتكم الأصنام والأوثان من مخلوقات؟ حتى عبدتموها من دون الله؟ وهو سؤالٌ فيه السخريةُ والتهكُّم بالمشركين، وآلهتهم المزعومة، ولهذا عقّب على ذلك بقوله سبحانه: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي هم في ضلال واضح ما بعده ضلال، وخسرانٍ مبين ما بعده خسران!! لأنهم عبدوا ما لا يسمع ولا ينفع، ولا يقدر على خَلْق ذُبابة، فضلاً عن خلق إنسان، أو خلق السموات والأرض!!

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ لقمان ليس بنبي، إنما هو عبد صالح رزقه الله الحكمة، فكان ينطق بها ويعلّمها الناس، ومعنى الحكمة: الفقه، والعقل، والإصابة في الرأي ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن نفع ذلك راجع إليه ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ ينصحه ويذكّره ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ لا تجعل لله شريكاً من بشر أو حجر ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إن الشرك قبيح وعاقبته وخيمة، لأن من ساوى بين الخالق والوثن، فإنه أحمق الناس، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ تزداد بحمله ضعفاً على ضعف، من حين الحمل، إلى حين الولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ فطامه ومدة إرضاعه سنتان ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ اسلك طريق المؤمن التائب المخلص لله ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وزن أصغر شيء ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ لا تميل خدّك تكبراً على الناس، واحتقاراً لهم ﴿مَرَحًا﴾ مختالاً عليهم، والمرح: الفرح والبطر ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ امشِ بسكينة ووقار ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ اخفض صوتك فلا ترفعه عالياً، فمن رفع صوته فقد تشبّه بالحمار ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ وهو أوحشُ الأصوات وأقبحها.

قال الحسن البصري: كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات، فردّ الله عليهم بأنه لو كان خيراً لفضلتهم الحمير!! **وقال قتادة:** (أقبحُ الأصوات صوتُ الحمير، أوّله زفيرٌ، وآخرُه شهيقٌ، ولذلك ضرب الله تعالى المثل به لبشاعته وشناعته) تفسير ابن كثير.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ أتمّ وأكمل عليكم نعمه العديدة التي لا تُحصى كثرة ﴿ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ المرئية كنعمة السمع والبصر، والخفية كنعمة العقل والإدراك ﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أيتّبعون آباءهم ولو كانوا أشقياء ضالين، حتى ولو كان الشيطان يدعوهم إلى نار جهنم المستعرة؟ ﴿وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يخلص الإيمان والطاعة والعبادة لله جلّ وعلا ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تمسّك بأقوى حبل، واعتصم بأعظم سبب ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ مرجع جميع الأمور إلى الله وحده، فيجازي عليها، والآية وردت مورد التمثيل، شبّه من تمسك بدين الإسلام، بمن أراد أن ينزل من شاهق جبل، فتمسّك بحبل متين غليظ، فنجا من الوقوع في الهاوية ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ نبقيهم في الدنيا مدة قليلة، يتمتعون بها بما يشتهون ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نلجئهم إلى عذاب فظيع شديد، هو عذاب جهنم ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ لو تصورنا أن جميع أشجار الأرض، جُعلت أقلاماً للكتابة، وجُعلت بحار الدنيا حبراً ومداداً، فكتبت بها كلماتُ الله، لانتهت الأقلام، ونفدت مياه البحار، ولم تنته كلمات الجبار جل جلاله، والآية تمثيلٌ لسَعة علم الله جلّ وعلا، لأن أحداً لا يستطيع أن يتصوّر عظمة الله وجلاله، ولهذا ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي غالب لا يعجزه شيء أراده، حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته أمر ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ما خلقُ جميع البشر، ولا إحياؤهم بعد الموت، إلّا كخلق نفسٍ واحدة، فلا تستبعدوا قدرة الله على إحيائكم!

سورة لقمان — الجزء ٢١

أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾ يدخل ظلمة الليل على ضوء النهار، ويزيد في هذا ويُنقص من ذاك ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ذلّلهما لمصالح العباد، الشمس تشرق ثم تغيب، والقمر كذلك يظهر ثم يختفي، في دورة دائبة مستمرة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ غاية محدودة هي انتهاء الحياة عن سطح الأرض، ومجيء القيامة ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ ليطلعكم على روائع قدرته، وبدائع خلقه ﴿لَّءَايَٰتٍ﴾ علامات باهرة وعبر جليلة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لكل عبد منيب، كثير الصبر والشكر لنعم الله تعالى ﴿غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ كانوا في البحر، وجاءتهم أمواج البحار، كثيفة من كل جانب، كأنها الجبال في علوّها وكثافتها ﴿مُّخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أخلصوا دعاءهم لله، ونسوا الأوثان والأصنام ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ أنقذهم من شدائد البحر، وأخرجهم إلى شاطئ الأمان ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ موفٍ بعهده، شاكر لله، وفي الآية حذف، أي ومنهم كافر، دلّ عليه قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ما ينكرها ويكذب بها ﴿كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار عظيم الغدر ﴿كَفُورٍ﴾ شديد الجحود لنعم الله، وهي صيغة مبالغة ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ وقتُ قيام الساعة وفناء العالم، وهذه الآية فيها مفاتيح علم الغيب كما جاء في الحديث: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**.. **وتلا الآية**» رواه البخاري. ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي ولا يعرف أحدٌ المكان الذي تكون منيّته فيه، وإذا كان لا يعرف موطن موته، والمكانَ الذي يموت فيه؟ فكيف يعرف وقت وفاته؟ هذا أبعدُ في الاستحالة، لأن الله إذا قدّر موتَ أحدٍ في بلدٍ، جعل الله إليه فيها حاجة.